المبحث الثالث

البعـــث

تمهيـــد:

البعث لغة: يقال: بعثه وابتعثه، بمعنى أرسله فانبعث. وقولهم: كنت في بعث فلان: أي في جيشه الذي بُعث معه. والبعوث: الجيوش. وبعثتُ الناقة: أثرتها. وبعثه من منامه: أي أهبّه. وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث[1].

قال الشيخ الأمين رحمه الله: «والبعث: التحريك من سكون؛ فيشمل بعث النائم والميت وغير ذلك»[2].

والبعث اصطلاحاً: أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها[3]؛ لقوله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكلّ خلق عليم﴾[4].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وأنّ الله يبعث من في القبور﴾[5]: (أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما، ويوجدهم بعد العدم)[6].

فالإيمان بالبعث أصل سعادة الفرد والمجتمع: فإنّ الإنسان إذا آمن بأنّ الله تعالى سيبعث الخلق بعد موتهم فيحاسبهم، ويجازيهم على أعمالهم؛

---

(١) الصحاح للجوهري ١/ ٢٧٣. وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٥١.
(٢) أضواء البيان ٤/ ٢٣.
(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٥٧.
(٤) سورة يس، الآية [٧٩].
(٥) سورة الحج، الآية [٧].
(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٠٨.

فمن أحسن جوزي بالإحسان، ومن أساء عذب بالنيران، وإذا آمن أنّ الله سيقتصّ من الظالم للمظلوم، حتى من الحيوان؛ فإنّ دابر الشرّ ينقطع، ويسود الخير في المجتمع، وتعمّ الفضيلة والطمأنينة الكلّ.

لذلك أجمعت عليه الشرائع السماوية، وأنذر به الرسل أممهم[1]؛ قال تعالى: ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير* قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾[2].

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٦٦، ٩/ ٣٠-٣٣.
(٢) سورة الملك، الآيتان [٨-٩].

المطلب الأول

براهين البعث

ذكر الله سبحانه وتعالى البراهين على هذا الحدث العظيم بأدلة معنوية وحسية ليرسخ هذا المعتقد في القلوب، فيبعث على العمل والاستمساك بالعروة الوثقى.

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله عن هذه البراهين في ثنايا تفسيره، فاستنبطها من الآيات الكريمة الدالة على وقوع البعث لامحالة؛ لأنها قول الخالق العظيم الذي لا أحد أصدق منه قيلا؛ فهي لاتقبل التوقف أو التردد.

ويحسن التنبيه هنا على أنّ بعض براهين البعث قد استشهد بها الشيخ الأمين رحمه الله على توحيد الألوهية، وقد أشار إلى ذلك عند براهين التوحيد، وذكر أنه أعادها لأهميتها[1].

ولاشكّ أنّ هذا ليس بتكرار؛ إذ أنه تناول كلّ قضية من جانب يختلف عن الجانب الذي تناول به القضية الأخرى.

وقد ذكر رحمه الله ستة براهين على البعث، وذكر عند كلّ برهان ما يعضده من الآيات على طريقته رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) انظر أضواء البيان ٧/ ٣٣٤.

البرهان الأول

خلـــق النـــاس

استدلّ الشيخ الأمين رحمه الله على أنّ من خلق الناس من العدم قادر على إعادتهم بعد فنائهم؛ حيث قال رحمه الله: «خلق الناس أولاً المشار إليه بقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾[1]، لأنّ الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني.

وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده﴾ الآية[2]، وقوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾[3]، وكقوله: ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾[4]، وقوله: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾[5]، وقوله: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس﴾ الآية[6]، وكقوله: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾[7]، وكقوله: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾[8]. ولذا ذكر تعالى أنّ من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول؛ كما في قوله: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾ الآية[9]، وقوله: ﴿ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حياً* أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢١]
(٢) سورة الروم، الآية [٢٧]
(٣) سورة الأنبياء، الآية [١٠٤]
(٤) سورة الإسراء، الآية [٥١]
(٥) سورة يس، الآية [٧٩]
(٦) سورة ق، الآية [١٥]
(٧) سورة الحج، الآية [٥]
(٨) سورة الواقعة، الآية [٦٢]
(٩) سورة يس، الآية [٧٨]
(١٠) سورة مريم، الآية [٦٦-٦٧]

ثمّ رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ الآية[1]. . . . إلى غير ذلك من الآيات»[2].

وقال رحمه الله أيضاً: «من خلقهم أولاً من طين، وأصله التراب المبلول، لايشك عاقل في قدرته على خلقهم مرة أخرى بعد أن صاروا تراباً؛ لأنّ الإعادة لايعقل أن تكون أصعب من البدء»[3].

(١) سورة مريم، [٦٨]

(٢) أضواء البيان ١/ ١١٥-١١٦.

(٣) أضواء البيان ٦/ ٦٧٩. وانظر المصدر نفسه ٣/ ٢٢٣ـ ٥/ ٢٦-٢٧، ٧/ ٣٣٥-٣٣٦، ٧٨٤-٧٨٦.

البرهان الثاني

خلق المخلوقات التي أكبرها السموات والأرض

بيَّن الشيخ الأمين رحمه الله أنّ من قدر على إيجاد هذه المخلوقات العظيمة فهو قادر على بعث الخلق يوم القيامة؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾[1]: «وجواب الاستفتاء المذكور الذي لاجواب له غيره هو أن يقال: من خلقت يا ربنا من الملائكة ومردة الجنّ والسموات والأرض والمشارق والمغارب والكواكب أشدّ خلقاً منا؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا، فيتضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جلّ وعلا على البعث بعد الموت؛ لأنّ من المعلوم بالضرورة أنّ من خلق الأعظم الأكبر كالسموات والأرض وما ذكر معهما قادر على أن يخلق الأصغر الأقل، كما قال تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾[2]؛ أي: ومن قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على أن يخلق الأصغر؛ كخلق الإنسان خلقاً جديداً بعد الموت»[3].

ثمّ سرد رحمه الله الآيات الدالة على هذا البرهان، فقال: «وقال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[4]، وقال تعالى: ﴿أولم يروا أنّ الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهنّ بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه

---

(١) سورة الصافات، الآية [١١].

(٢) سورة غافر، الآية [٥٧].

(٣) أضواء البيان ٦/ ٦٧٨.

(٤) سورة يس، الآية [٨١]

على كلّ شيء قدير﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أولم يروا أنّ الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾[2]، وقال تعالى في النازعات موضحاً الاستفتاء المذكور في آية الصافات هذه: ﴿أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها* رفع سمكها فسواها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها* متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[3]»[4].

(١) سورة الأحقاف، الآية [٣٣]

(٢) سورة الإسراء، الآية [٩٩]

(٣) سورة النازعات الآيات [٢٧ـ٣٣].

(٤) أضواء البيان ٦/ ٦٧٨. وانظر المصدر نفسه ١/ ١١٦، ٣/ ٢٢٣، ٧/ ٣٣٤.

البرهان الثالث

إحياء الأرض بعد موتها

قال الشيخ الأمين رحمه الله: «من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم؛ لأنّ الجميع أحياء بعد موت.

فمن الآيات الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كلّ شيء قدير﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج* ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كلّ شيء قدير* وأن الساعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾[4].

فقوله: ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ أي نبعثهم من قبورهم أحياء كما أخرجنا تلك الثمرات بعد عدمها، وأحيينا بإخراجها ذلك البلد الميت. وقوله تعالى: ﴿يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾[5] يعني تخرجون من قبوركم أحياء بعد الموت.

(١) سورة فصلت، الآية [٣٩].
(٢) سورة الحج، الآيات [٥-٧].
(٣) سورة الروم، الآية [٥٠].
(٤) سورة الأعراف، الآية [٥٧].
(٥) سورة الروم، الآية [١٩].

وقوله تعالى: ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات»[2].

وعلق رحمه الله على هذه البراهين بعد ذكرها بقوله: «فهذه البراهين الثلاثة يكثر جداً الاستدلال بها على البعث في كتاب الله»[3].

---

(١) سورة ق، الآية [١١]

(٢) أضواء البيان ٧/ ٣٣٦. وانظر المصدر نفسه ١/ ١١٦، ٣/ ٢٢٣، ٦/ ٣٦٧، ٧/ ٦٤٦، ٧٨٩-٧٩١.

(٣) أضواء البيان ٣/ ٢٢٤.

البرهان الرابع

إحياء بعض الأموات في الدنيا
دليل على إحياء جميع الخلق يوم القيامة

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله هذا البرهان، وساق له خمسة أدلة من كتاب الله تعالى؛ أربعة منها فيها ذكر أناس عاشوا بعد الموت؛ فقال رحمه الله: «هناك برهان رابع يكثر الاستدلال به على البعث. . . . وهو إحياء الله بعض الموتى في دار الدنيا كما تقدمت الإشارة إليه في سورة البقرة؛ لأنّ من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس؛ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾[1]. وقد ذكر جل وعلا هذا البرهان في سورة البقرة في خمسة مواضع: **الأول**: قوله: ﴿ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[2]. **الثاني**: قوله: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾[3]. **الثالث**: قوله جله وعلا: ﴿فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم﴾[4]. **الرابع**: قوله: ﴿فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أنّ الله على كل شيء قدير﴾[5].

---

(١) سورة سورة لقمان، الآية [٢٨].
(٢) سورة البقرة، الآية [٥٦].
(٣) سورة البقرة، الآية [٧٣].
(٤) سورة البقرة، الآية [٢٤٣].
(٥) سورة البقرة، الآية [٢٥٩].

الخامس: قوله تعالى: ﴿قال فخذ أربعةً من الطير فصرْهنَّ إليك ثمَّ اجعلْ على كلِّ جبل منهنّ جزءاً ثمّ ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلمْ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم﴾ (١)»(٢).

(١) سورة البقرة، الآية [٢٦٠].
(٢) أضواء البيان ٣/ ٢٢٤. وانظر المصدر نفسه ١/ ١٤١.

البرهان الخامس

إخراج النار من الشجر الأخضر

قال تعالى: ﴿أفرأيتم النار التي تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾[1].

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير هذه الآيات: «والجواب الذي لاجواب غيره، أنت يا ربنا هو الذي أنشأت شجرتها، ونحن لاقدرة لنا بذلك. فيقال: كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أنّ من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كلّ شيء. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث جاء موضحاً في (يس) في قوله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكلّ خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾[2]؛ فقوله في آخر (يس): ﴿توقدون﴾؛ هو معنى قوله في الواقعة: ﴿تورون﴾، وقوله في آية (يس): ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ بعد قوله: ﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ دليل واضح على أنّ خلق النار من أدلة البعث»[3].

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان [٧١-٧٢].

(٢) سورة يس، الآيتان [٧٩-٨٠].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٧٩٥.

البرهان السادس

إيلاج الليل بالنهار والنهار بالليل

قال الشيخ الأمين رحمه الله: «استدلّ على قدرته على الخلق والبعث، فقال: ﴿ألم تر أنّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلّ يجري إلى أجل مسمى وأنّ الله بما تعملون خبير * ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّ ما يدعون من دونه الباطل وأنّ الله هو العليّ الكبير﴾[1]»[2].

وهذه البراهين التي استدلّ بها الشيخ الأمين رحمه الله على النشأة الثانية أدلة واضحة وصريحة من كتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد استدلّ بها غيره من العلماء؛ أمثال الإمام ابن القيم رحمه الله؛ حيث أورد أكثرها في كتابه إعلام الموقعين[3]. وكذلك الإمام ابن أبي العزّ الحنفي شارح الطحاوية؛ ذكر خمسة منها[4].

---

(١) سورة لقمان، الآيتان [٢٩-٣٠].

(٢) أضواء البيان ٥/ ٧٣٩.

(٣) إعلام الموقعين ١/ ١٤٠-١٤٣.

(٤) شرح الطحاوية ص ٤٦٠-٤٦٢.

المطلب الثاني

الحشـــر

الحشر: هو جمع الناس حفاة، عراة، غرلاً، بهماً، على صعيد واحد للحساب والجزاء يوم القيامة[1].

وقد دلّ الكتاب والسنة على الحشر؛ فقال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[2].

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «تحشرون حفاة عراة غرلاً»، قالت عائشة: فقلت: يارسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشدّ من أن يهمهم ذاك»[3].

ولقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله الحشر، وكيفيته، وأنواعه؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾[4]: «أي تشقق الأرض عنهم في حال كونهم مسرعين إلى الداعي؛ وهو الملك الذي ينفخ في الصور، ويدعو الناس إلى الحساب والجزاء. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنّ الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الداعي، جاء في آيات أخر من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾[5]،

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد ص٢٦. وأضواء البيان ٤/ ١١٢.

(٢) سورة الكهف، الآية [٤٧].

(٣) صحيح البخاري ٧/ ١٩٥.

(٤) سورة ق، الآية [٤٤].

(٥) سورة المعارج، الآية [٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ (١)»(٢).

وقال أيضاً رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾(٣): «أي، والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة؛ أي حفاة عراة غرلاً؛ أي غير مختونين. كلّ واحد منكم فرد لا مال معه، ولا ولد، ولاخدم، ولاحشم»(٤).

وقد أوضح الشيخ رحمه الله أنّ الحشر عام لجميع المخلوقات؛ حيث قال: «إنّ هذا الحشر المذكور شامل للعقلاء وغيرهم من أجناس المخلوقات، وهو قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربهم يحشرون﴾ (٥)»(٦).

أقسام المحشورين وكيفية حشرهم:

(١)- حشر المتقين:

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾(٦): «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفداً... والوفد من يأتي إلى الملك مثلاً في أمر له شأن» (٧).

---

(١) سورة يس، الآية [٥١].
(٢) أضواء البيان ٧/ ٦٥٥-٦٥٦.
(٣) سورة الكهف، الآية [٤٨].
(٤) أضواء البيان ٤/ ١١٤. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٥١٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية [٣٨].
(٦) أضواء البيان ٤/ ١١٢. وانظر المصدر نفسه ٦/ ٤٣٩.
(٧) سورة مريم، الآية [٨٥].
(٨) أضواء البيان ٤/ ٣٩٠-٣٩١.

ثمّ بين رحمه الله كيفية حشرهم، فقال: «وجمهور المفسرين على أنّ معنى قوله: ﴿وفدا﴾؛ أي ركباناً. وبعض العلماء يقول: هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة. وبعضهم يقول: يحشرون ركباناً على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة... - إلى أن قال: وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة.

أما من القبر، فالظاهر أنهم يحشرون مشاة بدليل حديث ابن عباس الدالّ على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً. هذا هو الظاهر، وجزم به القرطبي، والعلم عند الله»[1].

(٢) - حشر الكافرين وشياطينهم:

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثمّ لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾[2]: «أقسم جلّ وعلا بنفسه الكريمة أنه يحشرهم؛ أي الكافرين المنكرين للبعث، وغيرهم من الناس، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا، وأنه يحضرهم حول جهنم جثياً.

وهذان الأمران اللذان ذكرهما في الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع. أما حشره لهم ولشياطينهم، فقد أشارإليه في قوله: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾[3]»[4].

وقال رحمه الله أيضاً: «فقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٣٩١-٣٩٢.

(٢) سورة مريم، الآية [٦٨].

(٣) سورة الصافات، الآية [٢٣].

(٤) أضواء البيان ٤/ ٣٤٥.

وأزواجهم﴾؛ أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم. وبذلك نعلم أنّ قول من قال: المراد بأزواجهم: نساؤهم اللاتي على دينهم ـ خلاف الصواب. وقوله: ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾؛ أي احشروا مع الكفار الشركاء التي كانوا يعبدونها من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعاً النار»[1].

(١) أضواء البيان ٦/ ٦٨١- ٦٨٢. وانظر المصدر نفسه ٦/ ٤٣٩-٤٤٠. ودفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان. ١٠/ ٢٢٧-٢٢٨.